خطرا لا من الناحية الجغرافية ـــ السياسية فحسب ولكن ايضا من الناحية الايديولوجية . فقد كان ينظر الى الاتحاد السوفياتي والصين على السواء « كدولتين ثوريتين » « لا تقبلان باطار النظام الدولي او البنية الداخلية للدول الاخرى او بكليهما » . أما اليوم فهو ينظر اليهما كدولتين يحتمل ان تقبلا بالوضع القائم ، بمعنى انه يمكن حملهما على احترام « اطار النظام الدولي » وترك مهمة القيام بخفر « الاضطراب » الى الولايات المتحدة والدول التابعة لها . ولذلك يمكن وصف سياسة الولايات المتحدة نحو الاتحاد السوفياتي على افضل نحو بانها سياسة تعاون عدائي . وهي تجمع بين عناصر العمل المشترك والمكافآت المختارة في بعض المناطق ، وعناصر المواجهة ومنع انتشار قوته وعقيدته في مناطق اخرى . (ولاسباب سنبحثها في ما بعد ، ينتمي الشرق الاوسط الى النصف المعادي من الوفاق). وتسعى الى زيادة حدة النزاع الصيني ـــ السوفياتي حيث امكنها ذلك .

تشتمل الحوافز لزيادة المصلحة السوفياتية في « النظام » الدولي على تحسين العلاقات الاقتصادية مع الولايات المتحدة ، واتفاقات الحد من الاسلحة، والتخلي عن لغة « الدفع الى الوراء » لعهد دالس ونتيجتها الطبيعية ، الاعتراف بمنطقة نفوذ سوفياتية في اوروبا الشرقية ، وتحمل النفوذ الروسي الاخذ في الاتساع في مناطق ذات مصلحة استراتيجية تافهة للولايات المتحدة . ولكن حين ينطوي الامر على مسائل ذات اهمية استراتيجية، على سبيل المثال في المناطق التي يحدها البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي ، فان السياسة الاميركية حيال الاتحاد السوفياتي هي سياسة منع انتشار ومواجهة .

ان سياسة توفير الحوافز بواسطة العمل المشترك والمكافآت المختارة لكي يتصرف الاتحاد السوفياتي بصورة محافظة قد لاحت كبيرة على الصعيد العام . الا ان الناس اقل معرفة وفهما للتحركات الاكثر مغامرة في اتجاه منع الانتشار والمواجهة . وينتمي الى هذه الفئة الاخيرة تحرك التخطيط النووي الاميركي الذي يؤذن بتحول خطير من مفهوم الردع الى خلق قوة مضادة لضربة اولى . وكذلك التوسيع المتصور للقوة البحرية الاميركية ـــ وتحديثها على نطاق واسع . وكذلك ايضا تصميم وتطوير نظام اسلحة يفضي نحو النشر الفعال للاسلحة النووية التكتيكية . كما انتمت اليها العروض المعينة للقوة ـــ التحرك الاستفزازي للاسطول السادس ابان الحرب الاهلية الاردنية عام ١٩٧٠ ، وارسال السفن الحربية بقيادة حاملة الطائرات انتربرايز الى خليج البنغال اثناء الحرب الهندية ـــ الباكستانية في كانون الاول ١٩٧١ ، وحصار هانوي وهايفونغ وقصفهما قصفا مشبعا قبيل زيارة نيكسون الى موسكو ، واصدار الامر بحالة تأهب عام ابان الحرب الاسرائيلية ـــ العربية في تشرين الاول ١٩٧٣ .

من غير ريب ان جميع التطورات السالفة الذكر لا تنطبق على وجه الحصر بسياسة الولايات المتحدة ازاء الاتحاد السوفياتي. فالاسلحة النووية التكتيكية وسلاح البحرية على سبيل المثال يقصد بهما ايضا ان يكونا بمثابة ادوات للاكراه ومقاومة الثورات في العالم الثالث . كذلك فان العروض المعينة للقوة في الشرق الاوسط وجنوب اسيا والفيتنام كان الغرض العام منها هو تأكيد تفوق الولايات المتحدة بوصفها « الدولة العظمى » .

فضلا عن الهدف المحدد « لاظهار تصور القوة والمهارات السوفياتية » . (في نفس المكان ، ص ٤٢٤) . كانت عروض القوة تلك هي ما دعا اليه كيسنجر منذ ١٩٥٤ ـــ « مرادفات القرن العشرين » (لاظهار العلم) » . هي ، بكلام اخر ، توكيدات على « قدرة واستعداد لجعل قوتنا ملموسة بسرعة وبشكل حاسم ، لا لردع العدوان السوفياتي فحسب بل ايضا لترك تأثير قوي على غير المنحازين بقدرتنا على العمل الحاسم » . (هنري كيسنجر ، **الاسلحة النووية والسياسة الخارجية** ، نيويورك ، هاربر اندرو ، ١٩٥٧ ، ص ٢٦٤ . الطبعة المختصرة ، نيويورك، ذا نورتون لايبراري ، ١٩٦٩،ص ٢٢٠ ـــ ٢٢١).

بغية فهم توازيات التعاون العدائي فهما كاملا والتكهن بها ، من الضروري ان نتذكر ان كيسنجر يعلق اكبر قيمة على مفهوم « الترابطات » ويوضح هذا المفهوم نظرة واشنطن الى الروابط بين المواجهة والتعاون ، والحرب والمفاوضات ، وفوق كل شيء بين اظهار القوة والاحتفاظ بالقوة .